

غناء الألسن

غالية عبد الله محمد – الشارقة

ذكر الإمام مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجيد لسانه أي يجره بشدة، فقال عمر: ("مه !! غفر الله لك" فقال أبو بكر رضي الله عنه: "إن هذا أوردني الموارد").

قال رجل: رأيت ابن عباس آخذاً بثمرة لسانه وهو يقول: (ويحك، قل خيراً تغنم واسكت عن شرٍ تسلم. قال: فقال له الرجل: يا ابن عباس، مالي أراك آخذاً بثمرة لسانك وتقول كذا وكذا؟ .. قال ابن عباس: بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيءٍ أحق منه على لسانه، يعني لا يغضب على شيءٍ من جوارحه أشد من غضبه على لسانه) وقال عبد الله بن أبي زكريا: (عاجلت الصمت عشرين سنة).

وكان عبد الله بن وهب رحمه الله يقول: (نذرت أني كلما اغتبت إنساناً أن أصوم يوماً فأجهدني - يعني تعبت - فكنت أعتاب وأصوم أعتاب وأصوم .. فنويت أني كلما اغتبت إنساناً أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركت الغيبة)

وقال النووي في الأذكار: بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: (كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها.. قال: ما هي؟ قال: اللسان!!)

حفظ

وقال إبراهيم التيمي: (أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب). وقال بكر بن المنير سمعت أبا عبد الله البخاري يقول: (أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً)

تأمل معي أخي الكريم موقف السلف الصالح رضوان الله عليهم مع ألسنتهم، وتأمل واقعنا .. ما أكثر الكلام الفاسد الذي يدور في مجالسنا أياً كانت، كباراً أم صغاراً ، رجالاً أو نساءً بل وللأسف حتى في مجالس الصالحين ومجالس المعلمين والمتعلمين..

غشاء الألسنة في الكذب والغش والخداع والنفاق.. غشاء الألسنة في الغيبة والنميمة والقييل والقال.. غشاء الألسنة في أعراض الصالحين والدعاة والعلماء.. غشاء الألسنة في الهمز واللمز وسوء الظن.. غشاء الألسنة في كل ما تحمله هذه الكلمة من غثائية، وما هي النتيجة؟

النتيجة: هي بث الوهن والفرقة والحصام والتنازع بين المسلمين وقطع الطريق على العاملين، وإخماد العزائم بالقييل والقال.. والعقاب الشديد والأثم الكبير..

رحم الله ابن القيم يوم أن قال في "الجواب الكافي":

(من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والسرقه وشرب الخمر والنظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه!! حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة أبعد مما بين المشرق والمغرب والعياذ بالله).
وقال أيضاً في الكتاب نفسه:

(إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله تعالى وما اتصل به).

تأمل معي أخي الكريم التحذير الرباني في القرآن الكريم قال تعالى:

(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق:18)

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً)
(الأحزاب:58).

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)
(الاسراء:36).

(إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور:24).

وأخيراً قوله تعالى: (**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**) (الفجر:14).
فربك راصد ومسجل لكلماتك ولا يضيع عند الله شيء.

ولتزداد بينة من خطر هذا اللسان فاسمع لهذه الأحاديث :

فعن بلال بن حارث المزني رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه
إلى يوم يلقاه , وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب
الله له بها سخطه إلى يوم القيامة). أخرجه البخاري

عن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: (**قلت يا رسول الله, ما أخوف ما تخاف عليّ؟**
فأخذ بلسان نفسه وقال: "هذا") والحديث أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده
والترمذي في سننه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله**
واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت).

والأحاديث كثيرة في هذا الباب، فكم نحن بحاجة لمن يردد هذه الأحاديث على مسامع
الناس، ليتذكروها ويعوها وليفهموها جيداً، حتى تتذكر النفس كلما أراد اللسان أن ينطلق بكلمة
يحسب لها حسابها قبل أن يخرج لسانه بهذه الكلمات ..
أخي الكريم:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردى ودينك موفور وعرضك صيّن

فلا ينطقن منك اللسان بسوءٍ فكلك سوءاتٍ وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معائباً فدعها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن

تذكر دائماً أخي الكريم .. إن من جلس مجلساً ثم أطلق لسانه العنان فهذه علامة أكيدة
على إفلاسه في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: (أتدرون ما المفلس؟ "قالوا: المفلس منا من لا درهم له ولا متاع .. فقال: "إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه.

واحذر أيها الحبيب أن تظهر الشماتة بأخ أو أخت لك فيعافيه الله ويبتليك بما كان فيه فالبلاء موكل بالقول، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك) أخرجه الترمذي⁰.

وأعلم أن من أطلق للسان العنان يعد من شرار الناس فيجتنبه الناس ويجذرونه اتقاء فحشه ثم اعلم أنك تجالس كثيراً من الناس من أحبائك وخلاتك وأصدقائك، ولا تخلو مجالس من غناء قلّ أو أكثر، فمن واجبك اتجاه هذه المجالس.. أن تذكرهم بهذه الآيات والأحاديث، فإن القلب يغفل والنفس تسلو فاسمع وسمّع واستفد وأفد، والذال على الخير كفاعله.

اللهم طهّر قلوبنا من النفاق وعيوننا من الخيانة وألسنتنا من الكذب والغيبة النميمة والمراء والجدال وجنبنا الوقوع في الأعراض.. اللهم اجعل ألسنتنا حرباً على أعدائك مسلماً لأوليائك .. عن البراء رضي الله عنه قال: جاء أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (دلي على عمل يدخلني الجنة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطعم الجائع واسقِ الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير) والحديث أخرجه أحمد وابن حبان وغيرهما وهو صحيح.

وعند مسلم قال: (تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك).

"منقول للفائدة".